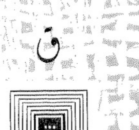


محمد شكري عبود

أوار البنفسج



الهيئة العامة
لقصور الثقافة



إبداعات
سلسلة شهرية تعنى بإبداعات الشباب
١٨

أوار البنفسج

قصص

محمد شكرى

١٩٩٦

★ أوار البنفسج - محمد شكرى
★ الطبعة الأولى - 1996
★ الهيئة العامة لقصور الثقافة

● تصميم الغلاف : **عاطف عبد العزيز**

● لوحة الغلاف :«إيحاءات الروح» للفنان العمانى :**حسين عبيد**

ابداعات

شهرية

الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة

ورئيس التحرير

حسين مهران

المشرف العام

على أبو شادى

نائب رئيس التحرير

محمد كشيك

مدير التحرير

سيد عبد الخالق

المراسلات : باسم مدير التحرير على العنوان التالى :

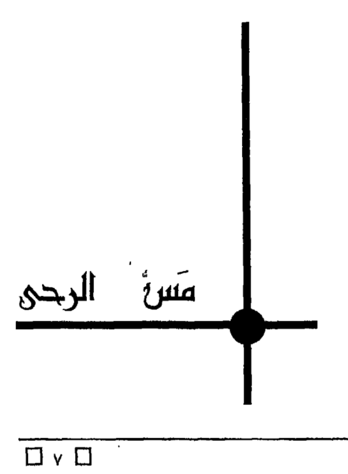
١٦ شارع أمين سامى القصر العينى - القاهرة رقم بريدى ١١٥٦١

إهداء

إلى ستي بفمها المُطبق على الخواء . بوشم التزرق فى ذقنها، لايهتز لعروض الأزياء ، أو حتى رحيلنا ... تقول " اذهبوا طويلا ، ولاتبعدوا كثيرا "

فنعدو في كفيها حتى ندرك الحياة...

محمد


مَسُّ الرجى

مس الرحى

هى الرحي ياأمى ... انكب أبي كى يدقدقها بإزميله ، يعيد شق الفجوات فى أنصاف أقطار باطنها ، حتى ما إن تمسها – أو تمس – حبات الذرة فتتكسر بسهولة ...

تتهادى وتتناغم ذلك هو المعنى الأول المؤود في صدر العصافير ... عصافير الأعشاش العالية في عين الشمس ، والتي لاتستطيع نبالنا الصغيرة الوصول إليها ...

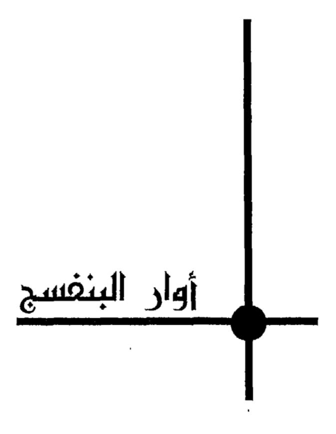
عندما يتناثر الشرر المتوهج تحت دقات الإزميل الحامي تمتلىء نفوسنا برعشة خفيفة تتماوج وتناثُر الشرر ، ويستميت أبى وصيحاتنا الفَرِحة تشد من أزره . وعندما تخيب الضربة فلا تأتى بالشرر فنصمت ، وتخيب الثانية فنتهامس ، ويشرع في إعادة سَنّ الإزميل فنضحك ساخرين . يزوم فينا ويطردنا خارج ساحة الداز الكبيرة ..

تتماوت وتتساقط هذا هو المعنى الثانى الذي طالما ألححت عليك به كى لاتحزنى عندما يأتوك به ، ملفوفا في عباءته الملطخة، كي تتلى عليه صلاتك الأخيرة لأنك ستسقطين بعده ،

ولاتجدين من يتلو عليك صلاة ..

الضربة الأولى ماتت ، وكذلك الثانية .. لم يبق إلا أن نموت .. بعد أن ذهبت عنا ، وذهبت آخر عصفورة كان من الممكن أن تفرخ بيضتها الباردة ، فيخرج عصفور من سقف الدار الكبيرة يملأ ساحتها بالصراخ عندما ينقر بيضته فنتلقفه نحن بكل المعاني ...الأول ، والثاني ، والأخير .

مايو ٨٦.



أوار البنفسج

أوار البنفسج

تشى جيفارا ..

.. ترفض الموت . لأنك منه .

الوجل في غفوة يهمس بطلب الشبق المجرد بلا ارهاق لفتيات يعضضن شفاههن ، لينحدر علي نهودهن ، يضغط مابين أفخاذهن ملوحة النزق وآثار الدم في سراويلهن المتجلدة ... ويسكن ...

يعلن بوحشة قدومه المؤكد كسيل قمح من كوة مخزن طين في نعيق طاحونة تتهالك ، ويسقط منها ثورها ، وتصر الطاحونة تطلب عظما وجلدا موشوما بجلال البضاضة لفتاة غاب عنها زوجها طويلا ، فنؤكد احكام النوافذ لترتسم خيالات العرق بخرا لزجاً علي جير الحوائط ..

وتظل ستى تقول :

– لاتخافوا ...تعالوا .

فَيمْثلُ اللحظة خارجا لتوه يموج بعطن هواء المندرة ، ويدفعه خارجا .

يرحل بضجر كأنه العنف كان معلقا بخيط علي مسمار مهتز.

يلمح الطيف بين حين وحين متسربا من ثقب نافذة . يبعث لنا أنات الفرح ، والحزن بنفسجاً متوهجاً يلتمع بشوق جَنُونْ ، فيعبث بالظلام الواهي ، يريد أن يقشعه عن عينى اللتين أصابهما الرمد وخراء الذباب الليلى .

الليل قوى، عظم ولحم . ينكأ دمه بعصا ، ويشد عنه شعاعا يفضحه ،انبعث من كفه تتفلت تحت صخرة، وتتصلب عروقها ترعى السوسنة الوحيدة ، وتدق حولها النوافذ ، ليقفز منها خلسة بعد أن يلقى بمنديل الخبز ، ويزحف في الحقول ، حتى طريق الأسفلت ، يسير عليه قليلا ويقول بعد أن لحقته :

– اقتربنا من مصر؟

الفرح حناء تتكور في كف ، تتخلل شعراً أبيض ضعيفاً لامرأة سمينة ، تصعد سلَّمها بعناء ، ترتب سطوحها برفق ، وتبول واقفة في ركن ، تسعل بعض دمها ، ترفع سروالها ، وتجلس تجفف عرقها بمنديل رأسها ...

الليل قوى ، أغبش من فجر بعيد . همس مرة بشبق بلاأطفال لأنه فقد علبة اللبن المجفف في سَفْرته الطويلة ، فأغمض عينا بها عشق ، وضم ساعدين وتطلعّ لحقول القمح علي حوافهاأسلفت وسوسنة ، أعاد لها نوافذها لما أحس بالخوف من قرب زحام مصر .

الفرح حناء ، ويلمح الحزن بنفسجا ، دفقة دم بين فخذي

فتاة تظل بكراً تتقلّب علي فراشها بشوق مُرْهِق تقلّب أحشاءها ، تعصر قبضها في نعومة أسفل بطنها ، تمد رقبتها ، تمد ... ثم ترخى جفونها بإرهاق علي سروالها الذي مازال معلقا بحافة الفراش .

ستى . فمها المطبق علي الخواء ، بوشم التزرق في ذقنها ، لايهتز لعروض الأزياء ، أو حتى رحيلنا . تقول :

– اذهبوا طويلا ، ولاتبعدوا كثيرا .

فنعدو في كف مُحَنّى ، يعشق ، يفرد قميص العُرس الأحمر الحريري ، ونلُمّه بحافة عين ماكرة .

ولما ذهبنا طويلا ، اقتربنا كثيرا من عروض أزياء ، وفتيات بلاأثداء ، أو نزق ، فاجأناهم بالسوسن ، وبعض بنفسجة متوهجة . وألقينا لهم بطرف من الفرح وكل الحزن ... أفعل وأشد عن دمه شعاعاً يفضحه ، انبعث من كفه تتفلّت تحت صخرة ، وتتصلب عروقها تطلب دماً لترعى السوسنة ...

***

أحمد طلب لاتقل لا ، بل بنفسجة

(يوم)

سقيفة بنيان مشدود بفلَق الحجر تتأرجح في وسن ... لحظة

.. يمرق خلالها يرتب ثمار المانجو .. نبت مالح احتازه بعين سوداء ، ويد من صمت تشتد فى الارتعاش ، والتسلق فوقاً من فوق ، وترشح عرقا من حلم وسخ ، ضفدعة في حديقة تنقنق ...

وَحْدُ المسافة بين الضاري والمتضور ، يخيط علم الدادية بين " الدا " و " الدا " يحتطم فوز المطر في الحلق علي صخرة مرة ، فتتبعثر القطرات الدقيقة فوق مساحة الشمس التي تفرد علي التراب الساخن، تسير عليه أقدام البنات الفقيرات فلتعلق بشقوقها لزوجة الوحل الملتهب ...

يتمدد بين ثمرة وسياج بعين سوداء تلتمع بشبق مغمم في هدبها المرتعش وبعض هالات الأسود تنتفض بعصب دقيق أزرق .

وبيد من صمت رشق فيها عينيه وامتدت بين حشائش احترقت ببقايا لحم العلب المحفوظة . حاز ثمرته وجرى .

(يوم آخر)

لما فاجأته رائحة المانجو ... بعثر ترتيبها ، وانتقى أصفرها، قذف به السقيفة ، فاتسعت ثغرة مرق منها ، ألقي بحباته للبنات، حتى نفذت حباته ، فألقى بعظامه ودمه البنفسجى تفوح منه رائحة مانجو .

يوليو ٨٩

مصفوقات من عشق الأوار البنفسجي(١)

مصفوفات من عشق الأوار البنفسجي (١)

مصفوف خاص

■ حكاية صابر الذي سبح النيل من الصعيد فلم يعد مستأنساً.

فاقت السُّفْرة كل الحدود حتى آمنت باستحالة العودة ، وبدا الأفق منسياً إلاّمن لفتاته في قيظ ظهيرة قدّدت كل وجوه الصعيد وجبهته .

● وكفص يضوى في ظلام زير الملح استرق البعض وامتشق النار وبعض الرطوبة الداكنة .. ونطق بآخر كلمة كان من الممكن أن يقولها وهو يخطو العتبة إلي بلل الشارع خارجا .

– أمى الرطوبة ستقصم ظهرك والربو سيعدمك العافية .

● الوهج خطا البلل بالحواري إلي أشرعة السفاين يتصيد فراشات النيل وهوام الليل يعطيها ملحاً وقديداً ويطلقها في مسارب يعرفها هو .. ويعاود قراءة ماخُط بباطن وظاهر أجنحتها (الناس للناس ، والناس بائسين ، وانت منهم ياابن

الناس تكسب ... يكسبوا ... يخسروا تخسر ... وان مريت علي أكتافنا ماتبقى منا ولو عجنت لنا بالخمر حُمر الحّنا) .

ويقول : هذا فعلها مزقت الرطوبة ظهرها واستبانت أفعالى ولم توقن بعد أنني منهيٌ مستباح .

● عشق الزهور يوماً وعندما امتلأ جيبه بالفراشات المتفحمة المحترقة أجنحتها وفاض .

شرخ باباً علي النيل وتَقُل في وجه الفجر الذي لم يكتمل بعد أو تخلف عن مروج العنف الشبقى في نوافذ الأبراج الزجاجية الساهرة ولعق ساعده الملحي لاهثاً مختبئاً بظلال كوبرى مّر فوقه العابرون لسبيل الصعيد خيبانين أو لوراء الفرّ مطروفة أعينهم .

● لم تكن أصابعه تلك السوداء التي اهتزت في المقهى حين قبض العالم لأنه كان يمرق بين السهم واللحم و يتوارى في الناس مطموس الملامح بفعل الغرق الطويل رغم مايحويه النيل من ملح....

أغسطس ٩١

مصفوفات
من عشق الأوار
البنفسجي (٢)

مصفوف خاص جداً

■ **حكاية أم صابر التي نامت وباضت الفراشات في كفها فصحا الصعيد كله ..**

تفرق بين حدود ممزوجة المَعْلَم وتداعب غصون اليراعة في قفصها الصدرى النحيل ، تفتش عن أثداء بهتت وانزوت حلماتها بين أصابعها تعتصر لك ما جفّ وتقول :

– أُمدُدْ الوصل وارحل في الناس ...

فترف أصابعه الصغيرة تخلى عشوش العصافير وتدلي بيضاتها من سقف الدار تصدم رؤوس الداخلين والخارجين علّها تفقس فراشاً أوعدساً أخضر ، ماداً أطرافه حتى " عِبّها " وهى واقفة ترمقنا ، نبتعد وننحنى مع جرف بحر النيل .

حقائبنا مُعدَّة

● هذا ليل وقمر، وتلك بنايات مفروشة على زهور الليمون المنثورة علي حواف قريتنا العابسة . تسعل أم صابر بقوة

وتزدهر عيناها وينفَضُّ الموت عنها، وتخط بأصابعها إشارات في الهواء .

(لَمّ الشمّلِ عزيز ، وعند الحطب قول النار . وانت راجع راح أفرش لك لمون من بحر النيل لباب الدار ياابن الناس).

● ويجوس بأصابعه في عمق المسألة وأرسل معه فلقة حطبة عدس مدببة في أنفها ونرحل ...

● يرتعش جلدنا ويتكمّش ضاماً كل مسارب الفرار التي يعرفها هو ، يطلق فيها فراشات تصيدناها من بنفسج نما فجأة بيننا في خريف بارد تجمدت فيه كل حقائب الملح التي سرقناها خفية، وثقلت علي أكتافنا بالرطوبة فانزلقت علي عَجَلها الدّوار ، عبرت الإسفلت اللزج وسقطت في النيل فاسَودّ بماء لم تحمل بعد أي رسالات ، وباخت ارتعاشات موجه المكدّس بالّصلْب من بقايا أجنحة الفراش وتفْل الليمون ،عند هذا الحد سدد سهمه بين ضلوع ممتدة بيننا وبين أطراف الصعيد وهو يقول :

(يغور الموت وتغور القهاوي ياصاحبى ..الليل عيونه ضى وضىّ ... الليل نار ... صحيح بتزحف جوّانا. لكن أمهاتنا مش عاوزانا) .

عزيزان نحن على الموت كَلَمّ الشمّل ، على حافة الكورنيش كنا نتذكر عدّ بيضِ الفراشات .

أغسطس ٩١

دوائر
الدُمية الصفراء

اللمحة . الغاية . تلك هي الخاتمة الأولى بلاجواب مقنع ، والتي غَزَتْ بلانفس مسموع ينبيء بوجودها ...

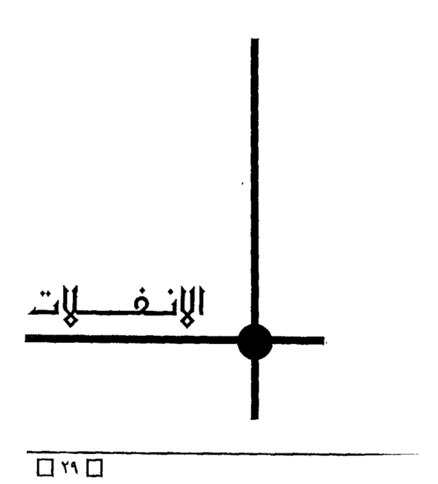
كانت عائمة هناك تشق في عنف ما إن لمست الشاطيء حتى هبطت أنفاسها ... عَمَدْتُ ألا أعرف أكثر من ذلك ، فقد كانت عيناها تنذران بدموع قريبة .. شفَّت بارقةُ أمل في أن أعرف ولو بادرة ما .. تميَّزَتْ أكثر مايكون بشعر مصبوغ وازى حاجبيها برفق ..

– لو مررت ثانية لكان هناك أفضل .

أمسكتُ بقبضة تراب قذفتها وجريت ... فلم أعد أتحمل .

اللمحة ، البارقة ... ثمة نوعان ، ولكن الاقتراب كان يعنى أكثر من مخاطرة ، لذلك أول مالمحتُ بدايات الدموع . عُدت ألملم قبضة التراب . أعجنها بصبغة دافئة وأشكّلها وأقذف بها في الماء ...

رمضان ١٩٨٦


الانفعالات

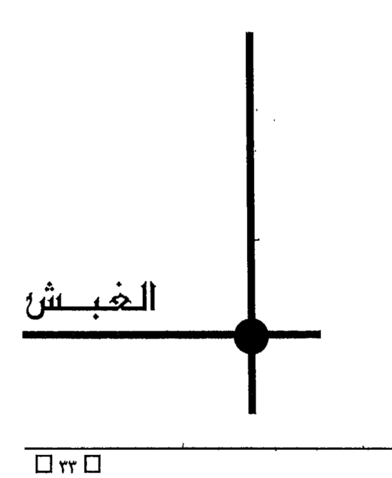
ومن تشققات الكسور يتسرب ، وطقطقات الحجر المقشور ... يلقي بهسهسة منمقة تتردد أصداؤها ، ترتطم بجدران العَزْل الموحش ... وتعود له وهو ينسحب بطيئا ...بطيئا يتفرق في الأرجاء.. ويتخلل نسيج لفائف الكتان العبق برائحة الغرابة الكابية . ونقش المنمنمات في صفائح الذهب ، تغلف أركان المركبة ، والعيون الحية ترتاح ترمق أبداً في سكينة باردة ...يرتكن في نقش كف ممطوط الأصابع بدقة متناهية ، ويتعلق بطرف ظفر الإبهام يزحزحه ... يحاول هزهزته .. يستدير مكانه ... ثمة حسٌ بأن هناك من جاوبه ...

يغيب لحظات . يتفقد حتى الشرائط الحُرّة في الفراغ..

يعتدل محركاً الأظفر ... يضرب ليكسره ...يشتد في الالتصاق ليتجمد هو فيسرع بالخروج . بعد أن اكتشف أنه من جاوبه ...

ويعود في لملمة حافة آخر كَسْر لم تكن لتدعه حتى ولو أبى.

سبتمبر ١٩٨٨



الغبش

يركض ليلاً ..

إذ يصفق بكفيه العشق واخضرار أثر البرسيم منقوش في شقوقهما . ونقش اللوتسية في خاتم الفضة يعلو ... يضم فص قلب أخضر ... ينتشى يقبض الكوب الصغير ، يُقربّه من الجمر ويصرخ .

– آه ه شفت بعيني طيرى بيشرب من قنا غيرى . آه ه .

ينهض متمايلا . يغمض ويسحب كوفيته خلف رقبته شاداً بطرفيها . والضىّ ينام مازال يحذّره بسبابته ، فأمسكُ برأسه أستند وهو يُنزلنى عن كتفيه . وقنفذ صغير يتمطى ببوزه القطيفة البُنىّ ... يقترب ... فيعود كرةَ شوكٍ مشرعةً يتلمسه ويُرْقده بين عروق الخشب .

– ادعيلى ياأمير .

يفركهما . يضحك . يعدل من الطاقية . يسوى حوافها فتستقيم ، وعندما سألتُه أن يتكلم . رمقنى بزاويتى عينيه تشتعل

فيهما انعكاسات نار حنونة، وطأطأ ينبش بإصبعه أرضاً خلت من الدود وقشرات برتقالة جفّت . يعيد تسوية الجمر ، ويهزهز رأسه .

وعندما سألتُ حدود الذاكرة وأمعنتُ في التخفي كي لاأسقط، أوهمتني به عاشقاً مذبوحاً ، وملقى على طريق الأسفلت ، ذكَرُه مقطوع ومولَجٌ في شرجه المُدّمم . كفاه مضمومتان بعنف لايعشق.

سبتمبر ١٩٨٨



طرحُ البحر..والبر

طرح البحر ... والبر

ظل البحرُ يهدر طوال الليالى الفائتة ... وليلة أمس ... يلقي بأمواج وظلام ، وحصى ... ، وكائناته العفنة يلقيها علي أطراف أصابع قدميها، لتصل حتى باطن ساقيها المترهلتين وهي تحسر جلبابها حتى السروال البرتقالى لتعرّى فخذيها الضاربة في صفارهما عروق زرقاء مُسْودَّة . وقد ارتكزت على صندوق قديم مقلوب بمؤخرتها العظمية وتركن ظهرها المكدود على الجدار المتصدع زائغة العينين مشحوبة الوجه ... وقبالتها أقعت امرأة عجوز عرقانة كاشفة رأسها تُحرِّك راحتها دائريا برفق علي الفخذين العاريين ، وتشيح بوجهها تنفخ من الصهد الليليّ المتصاعد امتصته الجدران طوال نهار قائظ ضربت فيه الشمس بعروق نارها .. لتفحّه بُعد ذلك علي مهل في ليل ... طويل ... حملت فيه العجوز .. المرأة الشاحبة بفرشتها من وسط الوابور المشتعل ورائحة الطبيخ والبول في غرفتها لتبتسم .. وبعيدا ... صعدت بها درجات عالية متآكلة وبحثت في ركام السطوح حتى وجدت الصندوق وقلبته لها ، وطويلا ... تبحث فى

عينيها الزائغتين علها تهتدى لشيء . لكنها كانت ساهمة بهما دائما . صامتة تطالع السطوح الواطئة .. أحبال الغسيل .. أقفاصاً أعدّت للخبيز . بيوتا أزيلت فتركت الصفوف غير منتظمة. وأضواء بعيدة عالية حمراء ، زرقاء ، صفراء تنعكس علي وجه النهر الذي يشق المدينة بعنف يشطرها نصفين ، ليعزل بيوتا عالية بعيدة ... بُعد البحر الذي بَعد النهر يلقى نسماته بإهمال هنا ، وهناك والبحر يظل يلقى بحصى ، وظلام .. ومياه مالحة ... وكائناته العفنة . يلقيها على أطراف أصابع البيوت كلها حتى المقطم .

أغسطس ١٩٩٨


مقاطع
من الصمت
البنفسجي

– علاقات جانبية تنمو وتنضج ثم تنتهي دونما سبب مقنع. (نحن مواسم بَذْرٍ ونضج يحصدنا الألم).. قال وهو يمشي في تجربته الذاتية الساذجة " ..

– ويكون السبب نرقبه ولانستطيع الخروج معه إلي إمكان الفعل الذي يشدك يلج بك الشوارع المتهدمة والميادين التي لاتضيق بما تبتلعه أبدا .. بعد أن يهدّك كثرة المشى والتجوال تتهالك وتشعر أنك لاتشكّل حتى بلاطة رضيف بالنسبة له .

– وانفصلوا ؟

– أنا مازلت أتلمس ثمة مأأتعلق به ... انثقبت الرؤية أمامي . فلمحت آخر مالمحت نهايات القمر تختفى، وتخلف وراء ها تلالا من الإزرقاق الثقيل تنفذ من مربعات تكعيبة العنب الواطئة وتحط علي الممشاة .

– عنب !!!

– العنب قريب لليد فوق الممشاة الصغيرة المفروشة ببقايا

حصى وبعض الحبات المتساقطة ... وكان هو يدور حول البيت دورات واسعة ، ويعود مصمماً علي الفعل ... هو يُضيّق الآن من دوراته . يعلم أنني موثق القدمين ومدلّي علي عامود التكعيبة . وهي تنام تحت رأسي . هادئة . أحاول الوصول اليها بأطراف أصابعي فأتأرجح ... بالأمس صاح من شقّ في السور (بيتك قد نقشت علي جداره صورة نصفية لي . هي ماتبقى . فقط أريدها) . .. ارتعد العرق البارد تحت إبطيّ ، ولكنها كانت نائمة . نائمة ... ولم أكن قد نمت منذ استيقظت أول أمس . كانت مياه الصنبور مقطوعة . بل تذكرتُ أنه معطّل فاغتسلت رأسي ووجهي ببعض ماكنت أدخره للشرب والشاي على الأرض . وشربت القهوة . مررت في الشارع ، وفي الميدان أتيت هنا .. تمر بنا الأشياء ونحن جالسون لاندرك لها ملمحا ، تتشابه أو تتخفى . أحدهم قال لي الليلة (أحداث خطيرة في المذياع) ... ولم ينتظر مني إجابة ، ولكني أجبته . ان هناك أم هنا؟ ... عليّ أن أستطلع اذن هي أحداث مهمة . ولكني حيال الوصول بعد برهة ....

– لم تفِ بعد .

– التفاصيل مملة . وهو يقولون ساذجة . تلك قديمة مُجّتْ .

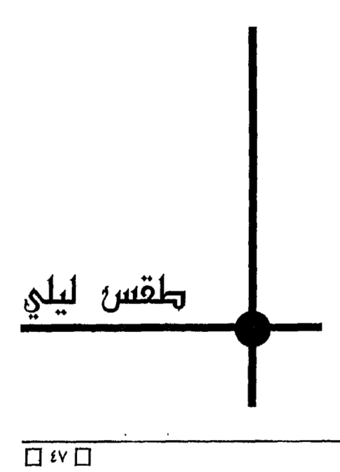
- ولماذا هم دائما ؟
- هم ... الفعل النابه نحو التحقق . أقلتُ أن التفاصيل مملّة ؟ والتراكيب أيضا ... ألا ترى رتابة الأفعال تدق فوهات مصمتة في بطن الميدان بعد برهة " للمرة الثانية " ، تنشع عرقاً، دماءً ، شحماً نتناً تبزّ منه يرقات الذباب يطن . وأنا أتلافى البقّع أسير بظهرى كى لاتغيب عنى . والوجومُ يغيّبُ كل رغبة في التحرك . يسير الرصيف بمحاذاتى قائما منحنيا علىّ . أرقب تلك السُحب النحاسية المشتعلة بهموم بحث دءوبة عن الأشياء تسقط وهى لاتوشك أن تمطر . ولكن كان أن ثارت الرمال الدقيقة في آخر الليل توخز أردافهم - وردفىّ - وسيقانهم ... وجلوا لحظةً أن اقتربت منها ومن أحبال الجثة المنتفخة . أدوس الحصى وأحاذر دهس حبات العنب ... أريد لها أن ألمسها ... اصطحب أحدهم شعلة وصاح (هكذا ... هكذا لم نشأ) ... فسقطتُ على الجثة فانفجَرتْ ... بعدها شملنى علو صفير نفير حاد . تبعه آخر يُعلي نفس التردد وثالث ورابع وأشباحهم تركض في كل نحو . جريت والفراغات طنين مُلحّ ...
- جريت .....
أرانى أقبّل حبيبتك في أحضانى .

- وليكن .

- وندوس حبات العنب .

عبرنا الشارع نلهث ، وفي غرفة المشرب لم يتجرأ أحداجتيازها كنا نتضام ... . نلتصق بالموقد نتدفأ ، وحلقنا يضم طعم الخمر ورائحة الغاز المتسرّب ، نلمح من زجاج النافذة عبر الشارع ، والفضاء ، والترعة - نباتات الحشائش وسيقان البوص تضم - شواهد قبور قريتنا الصفراء وهى تعنّ. "

ديسمبر ١٩٨٨



طقس ليلي

• فقط هو طقس لموت جديد، وهذا هو دين الفقراء ياعليّ...

نمضي بعناية نرتب أشياءنا الدقيقة ، وهدأة الليل تواري همهماتنا الحذرة ..

لم تكن سوى حقيبة طلع عليها خيط مصباح بعيد انسرب من ثقب نافذة مهملة كبَت عليها عتامة الليل واجتاز نافذتنا المفتوحة فسارع صديقي بجسده الضئيل يقطع عليه الطريق....

قلت أنني سمعت المرأة جارتنا تتثاءب بفراش زوجها وتهامسه بأنه قد سأل عنا غرباء غلاظ .

قال – دعنا نُعجّل ....

الأشياء الدقيقة كما هي وديعة ساكنة .. على حائطي ملصقات متجاورة خلف أرفف الكرتون الملفوفة بأوراق المجلات

والمرصوص عليها أطباق البلاستيك الصغيرة ، وأكواب الشاي وفرشاة الحلاقة المبلولة ، وزبل الفئران ...

أغلقت باب الحجرة ، ودسست المفتاح في شق الجدار . ولجلال اللحظة مرقت أبصارنا تكنس نفايا الحارة الخانقة قبل أن نوحل في بركها ونمضى .

****

تتباعد حواف النيل عند روض الفرج ... لكن البنايات الشاهقة تضغط علي مجراه ولاتدع سوى شق صغير طالاً على السماء الداكنة تتبدّى منه بعض النجيمات الضالة فتزداد الأشياء ثقلا ... وأنا أغالب نعاسى ... وتحت مطلع كوبرى امبابة خرجت امرأة الليل الهزيلة قالت أن " سليمان خاطر " قد مات ، ودستْ جنيهين في فتحة حقيبتى وغابت ...

زمّ صديقى خيالاته ، ووقف يتحسس زغبه الأصفر علي حافة صدغه ... إنتظر انتهاء مرور القطار .

وعندما ماشخشخت عجلاته الخلفية مفردة على الفلنكات المفكوكة سارعنا بالعبور خلفه ... فلنكة ... فلنكة ...قال صديقى أنه يجب أن انتبه وأحاذر السقوط في النيل ...

نسيت أن أسأله هل كان يجب أن أتعلم السباحة .. ؟

****

عند بلوكّات المساكن قال أنه يجب أن أتوارى في مدخل ماحتى يعود ...

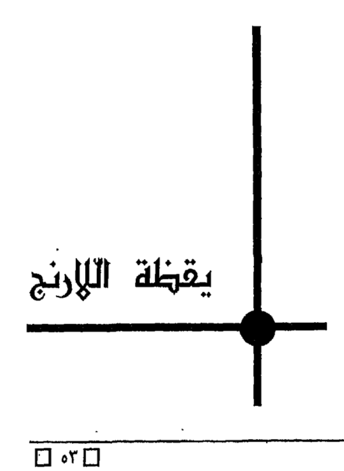
انعكس ظله طويلا على بناية قذرة غاب داخلها قليلا ... أتاني صوته هامسا ، ولما احتّد أضيئت بعض الغرف وتصايح أصحابها واستيقظ الجيران ..

خرج مسرعاً.

وعندما عاد كنت جالسا على درجة سلّمٍ أغطّ في نومي محتضنا حقيبتي التي سقط منها جنيهان ...

وكان هو يتحسس زغبه الأصفر لأنه لابد أن ينتهي من تفكيره قبل أن يبين الصباح ...

****


يقظة اللارنج

برتقالة اللارنج

بحذاء شجر البرتقال المسور بأشواك الليمون النابت استقر الصندوق البنيّ ، وسريعاً أنس الرسّو بعد حفائر زمن بريء ...

كان الصندوق مشدودا بين صخرتين . إحداهمامسنونة والأخرى طافحة بعض دماء ...

لطم الرجل خديه ، ونهنه للضابط الأعلي فربت على كتفيه ، وأفسح له وسط الجنود المغبرة طّواقيهم ...

إنزلق العلم الحريري .

وانكشف الغطاء الكاكيّ.

تسللت رائحة ليمونية لفحم محترق وعظام جمجمة مسحوقة فاغرة فاها ...

البرتقال الصيفي يشعُ بالحمرة ، والليمون بالصُفرة . بينما زهور اللارنج البيضاء مازالت تتلمس طريقا وسط الحطبات الناشفة .

– ياولد وعايق ياأخويا ...

مدت البنت ذراعيها بإطار قديم يضم صورة الدبابة يعتليها

الوَلد قابضا سلاحه الشخصى بكف وفارداً .أصابع الآخر أعلى طرف حاجبه الأسود المرسوم أسفل حافة البيريه ذات الجلد اللامع ...

شقّت نار القيلولة رصاصات محسوبة . تقافزت فوارغها فوق رؤوس الناس ، وسكنت سحابات البارود ...

شهقت البنت ...

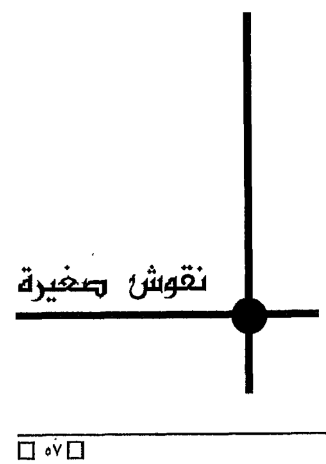
أرخت الصورة ، وفتحت عينيها تُلمُّ المشهد كله في واحد، جاهد الرجل بنصفه داخل الصندوق فانطبعت سيول عرقه علي الجلباب الأزرق الكحلى عند سلسلة الظهر .. وسقطت طاقيته ..

بانت للناس بوادر كائنية تخلقت لتوها بين صفوف شواهد القبور المتراصة ، وأعلنت نفسها دقائق معدودات من الصمت معلقة على حافة شوكة هزهزتها الفحة قائظة فانفرط عقد البرتقال وتدحرج داخل الصندوق ... بعثر بعض شظايا العظم فسارع الضابط بجذب الرجل وإسدال الغطاء والعلَمَ ..

انتهينا من تلاوة الفاتحة ...

جذب الرجال المكدودون الرجل العارى الرأس ، وسحب الرجل البنت ... وعدَّل آخر الجنود المنصرفين وَضْعَ الصورة فوق الشاهد ....

إنزلق سلاحه وهو ينحنى يقَبل عظيمات تناثرت ... يدسها خلف الصورة ... ويلحق بالعربة الميرى ..


نقوش صغيرة

نقوش صغيرة

(١)

عند القرافة ...صباح كل خميس ... يدلّي شفته ويقف فاردا حِجره ...

يعفّ عليه الذباب الملّون فلايتحرك ...

يستأنس الرسوّ على حافة الشفة فلايوجل ...

يبحر في تفاصيل شقوق اللثتين ، ويمعن أكثر في منابت لعابه فيغفو ...

وعندما يفتح عينيه يجد تّلاً من القُرص والشريك والبرتقال قد علا حتى ذقنه فيضّمه بحذر ... وبعد أن ينصرفوا ، وننصرف ، وينام الموتى ...

في الترعة عند " الهاويس " يلقيها جميعاً واحدة تليها أخرى ... ويعاود يبصق في كل مكان حتى ينشف ريقه ...

(٢)

عند القرافة كنا نستطيع تمييز رائحة العفن تفوح من جوفه

كما تفوح من مؤخرته ...

خاصمناه فلم يعد يلعب معنا ...

فقط يداوم علي تسلق التوتة الواطئة ... يلتقط حباتها الدموية السوداء ...

وعندما يتعب يهبط حتى جذعها الضارب داخل قرافة الصَدَقة يركن اليها قليلا ...

(٣)

يَعُدني سيدنا بداوة حبر " شيني " وقلم خيزران " سويسى إذا ما أمسكت له بأبو العزم ابن مديحة الذي ركن مصحفه وطاح بين الحقول والمساقى ...

فأعدو مجتازا كل الحقول وآبار السواقى ، وعند القرافة كان أبو العزم يجمع بحِجْرِ جلبابه ضروسا سوداء وعظاما صفراء ملأ التراب الناعم ثقوبها ...

جلسنا ننفضها ونصحنها ناعمة بين صخرتين ونتثردقيقها في الهواء فنعفّر رأسينا ورؤوس زملائنا الذين أتوا واحدا بعد الآخر ...

****

(٤)

قبضت عمتى " سمسومة " بالفرع الذي إنملص ، وخرّ سائله على جدار القرافة الناشع برطوبة داكنة ....

راحت تلمّ القطرات اللزجة بطرف سبابتها ، وتدهن البقع البنية في ذقنها وصدغها ...

وَجَلَتْ من " النّمس " الرمادي المغبّر ، الذي انفلت من شبق بقبوة الباب ، على جانبى شدقيه بقايا نتف اللحم المهروس بفعل الدوذ ، وعطب الأربعين يوماً التي لم تمر بعد على جسد الميت....

لفحت طرحتها السوداء تدارى وجهها ، وتمسك طرفها بأسنانها التي بانت من شفتيها الملطختين بازرقاق واحمرار حبّات التوت الأسود الذي أكلته تواً ، فبدت كفتاه مترفة دقت وشم " التاتو " في مراكز التجميل ...

فتحات الدوائر
المغلقة في
أطراف حدود
الليل والنهار

فتحات الدوائر المغلقة
في أطراف حدود الليل والنهار

العيد

فعندما وبقوة جذبني إليه ، رفرف بأجنحة زرقاء فاتحة فى أفق بعيد مازالت تعلوه بقايا ليل رمادية ،، تذوب في أذيال شابوّرة الصبح القلقة . تتطاير وصوت ورائحة البُمب وسيل الشرار من الصواريخ .

يتلملم من أطراف ماوراء الأذنين وأظافر القدمين ويتجمع في السُرّة ، فيرتعش بخوف ورغبة مجنونة فى المغامرة فأحجم وأتماسك .

– السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... ياسيدنا ... كل سنة وأنت طيب .

***

الاجتماع الصغير

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. مين قالك النهاردة العيد ؟

علي الدكة الخشب مصاحف وأوراق وكراسات صفراء وأقلام مُبراة وكرباج كبير يستقر فوقهم بنعومة ، منثّلة أطرافه . تداعبها أصابع سيدنا الصفراء من أثر النشوق، بهم خواتم فضة بفصوص كبيرة . زرقاء لبنية وحمراء عقيق .

ينحسر جلبابه بإهمال غير العادة عن ساقيه الرفيعتين . وجهه ذاهب في حمرة قانية يطوف به يمنة ويسرة في تتابع . يهمهم ويتحدث ولايدرك أحد حديثه حتى خالد ابن صفية الطويل الذي يتوددّ له ويُسَّرفي أذنه من حين لآخر وهو يشير ناحيتى بكرباج قصير – هو عُهدته هنا – فأذوب أندفس في صفّ العيال علي المصطبة الواطئة لاتستوعبنى الأكتاف النحيلة .

***

الكنز

تصطبغ الساحة الصغيرة وسط الدار . برماد دقيق يتساقط مضببا من الفتحة الخارجة على السماء والواسعة . وتتساقط بعض ورقات الجوافاية الجافة . نرفعها بحذر جانبا عن جلاليبنا الجديدة ، نكسر بها دوران رؤسنا برائحة النشوق وعَطَنِ الزير، والديك الذي يصيح يصرخ بعيدا : لو يستطيع أحد أن يصيده، ديك أسود الصدر . أحمر الذيل . برقبة طويلة عارية . وتاج رأسه ينتصب عندما يؤذن للفجر . وعندما يؤذن لايؤذن إلا مرة

واحدة كل عام . لحظات ثم يختفي للعام القادم أعلى طرف مئذنة الجامع الشرقى، ولو استطعت أن تصيده تُسيلُ دمه علي جدار الميضة في الخلف ينفتح لك الكنز الذي دفنه ملاعين الترك العجم في هذه الجهة ، عندما ظلوا يحفرون سردابهم المظلم من تحت المنبر المؤطر ببروز الآيات وهم يرنمون القرآن، حتى وصلوا للميضة . ورصوا قوالب الذهب بعناية وخرج سيدنا معهم من السرداب الطويل . أغلقوه وذبحوا علي بابه ديكاً برقبة . وأمروا سيدنا بالصعود للمئذنة فأذنّ للفجر في سواد الليل . وهبط فوجدهم قد اصطفوا وتتساقط مياه الوضوء الطاهرة نقطة نقطة من لحاهم السوداء، وعلى ضوء الفتيلة أمَّهمُ للصلاة . وسلّم بوجهه يمينا ثم شمالا . وردوا عليه في نَفَس واحد، واستدار يختم الصلاة فلم يجد أحدا منهم فأطفأ الفتيلة وأغلق الجامع وعاد بهدوء والقرية مازالت نائمة .

***

القاطر

عندما قام الولد " عبد الله " كبابة الذي تتكبب رأسه من خلف ، يستأذن يشرب ، انهال عليه كرباج خالد ابن صفية الطويل ابن الطويلة ، فسقط الكوز من يده وتدحرج بعيدا ، وهو

يتلوى يدعك مكان كل ضربة علي كتفيه ، ويُقلصّ عضلات وجهه فتستطيل القوبة البيضاء في ذقنه الصغير .

– يافاطر ياابن الكلب ، النهاردة صيام ...

***

في لون الرخام الذي يدور وتدور معه الأشياء

فتدحرجت إحداها وهو في قلب الظلام وينحني شبحه عليها .

يخرج من باب القاعة الجوانية ويعتدل علي الدكة ووجهه مازال محمّراً مزرقّا يطوف به . ويضعها صغيرة علي قطعة الرخام . في لون الشمس في الغروب أو قبله بقليل . يعصر عليها نصف الليمونة فيتغير لونها وتمتص العصير حتى يجف سطح الرخامة ... بعد لحظات تطرده رغاوى ، تدور فيها طويلا تلف ، تلف ، حتى تهدأ وتستقر، ورائحة مالحة حامضة تعّبق... وهو يتحدث ، ونحن لاندرك النور الذي هبط فجأة فغطىّ كل شيء وامتد من لحية سيدنا ماراً بطوق جلبابه وحجره حتى "أطرافه داير داير، نور لمع فجأة فأغمضنا عيوننا نصف اغماضة ..ولأن رؤوسنا كانت تدور فلم نستطع ادراكه أو مصدره ، حتى ابن الطويلة الواقف قربه يراقب بحذر القطعة المستقرة وفص الليمون المعصور . حتى سقط الكرباج من يده.

قُرَص القط الأسود :

قُرَص مدورة ، بعضها مازال يستقر في حجر جمال ابن حليمة . احداها مأكول حافتها . داراها بحذر ، ومسح فمه بطرف الكُم ، وعيناه مستقرتان على وجه سيدنا والكرباج الساقط على الأرض والكوز مرمى في دائرة الطين حول جذع الجوافاية والقُرص واحدة يمين وأخرى شمال علي درجات السلم . درجة . درجة . من باب الغرفة في أعلى البيت حتى مدخله في الحارة الضيقة .

– لاتضربي القط . لاتضربيه مرة ثانية .

قال لها سيدنا في العشاء ، وخرج في الصباح وضعت هي بستلة القُرص فى الركن ووضعت فوقها صينية القلل ، وأخفت عن الجيران موضوع القرص .

وعادت من السوقِ فوجدتْ ماحدث. فجلستْ مُكومةً فى الركنِ حتى عادَ فى العشاءِ وقال لها :

– " مش قُلتلك "

وعلى العشاء عاد القطُ الأسودُ الكبيرُ ظل سيدنا يسأله وهو يجيب عليه حتى أتت أختُه البُنيةُ. وحدَّثتْ سَيدَنا حديثاً قصيراً ضَّربتْ بعدَه أخَاهَا الأسودَ على رأسه بيدِها اليمين، فخرجَ يبكي، وخرجَتْ فى ظلِه وأغلقَتْ وراءَها الباب بهدوءٍ.

ليلة القدر

خيرٌ من ألف شهر. عندما ظَهَرَتْ وبانَتْ الحقيقةُ.

– هيه وطَلَبْتً ايه ياسيدنا . طلبت ايه ؟

– أعظم شغلانه في الدنيا .

– رئيس جمهورية ؟

– ياأولاد الكلب .

***

كل شيء ليس يدور

هو يتحدث ونحن لاندرك ... وهم قالوا اليوم صيام . وغدا العيد نصر جنده وهزم الأحزاب وحده . لقد كفروا . جعلوا رمضان الشهر تسعة وعشرين يوما " هم قالوا " كيف تكون سبحتك ثمانية وتسعين حباية كيف ؟

ورؤوسنا تدور رغم أنها الأرض لاتدور هكذا قال الله في كتابه الحق وهكذا قالوا فلاتكفروا ... هو يتحدث .

***

● " عبد الفتاح بيليه " الذي لم يحفظ ولاسورة قرآن ضرط عاليا علي باب الدار وهو يطل علينا بوجهه الأسود وصاح جاريا

– " طظ " ياسيدنا ....

***

الحدود هناك :

شعاع الشمس صغير رفيع . من الفتحة الخارجة على السماء وسط الرماد الدقيق المضبب وشابورة الصبح القلقة وأوراق الجوافاية . ظل يتسلل حتى وصل للزير والكوز تحت . والكرباج ساقط بجوار رِجل الدكة الخشب يلامس طرف جلباب سيدنا ووجه ابن الطويلة حتى الحائط خلف المصطبة نركن عليه ظهورنا والعيد ... والصواريخ ... والبُمب ، يفجّره وأفجّره فلا أُحجم ولاأتماسك ... وانطلق من السُرّة في وسط بطني يرتعش بخوف ورغبة مجنونة في المغامرة تطيح بكل مايواجهها من فضاء شاسع تطويه وتلّمه تحت إبطها .

تطويه وتلمه تحت إبطها ... وحدود الأرض وقفت عند هذا الحد الفضاء .

أغسطس ١٩٨٨

قد يشى الأفق بفواتح الأمور . وتدور الحيطان ببواطن ماتحوز من الأسرار والسعود والنحوس .
وسيرة ابو غازي من سِيَرْ الناس في ابو سنيطة ★ وماحولها. قد خرجت للألسن تتحاكاها . وتدور الأفواه بها تارة بالإزادة . وأخرى بالنقصان ... ولما كان الرجل ليس ابن ناس مثلنا فوجب علينا ألا تناله إلا بحقه بالتمام . لازيادة ولانقصان...

سيرة الناس (١)

كلما خايله طيف أحد الحريصين علي صلاة الفجر ، أو سمع " خرطشات " الصبي الكفيف في وخل أمطار الليل ، تثاءب فاردا عوده حتى تطول رأسه سقيفة المئذنة ، وأطل ينبش بعينه المعوجة بين الحواري اللزجة ... تئن ساقاه بالوجع فيستأنس لخروشات السماعة الخشب توشوشه بدعوات أواخر الليل.. ولما تطول علي غير عاداتها يخشى أن تفسدها الأمطار ... فيؤكد دسها أكثر من مرة تحت بقعة آمنة في السقف ويركن جالسا حابكاً لفاحته .

– ليس من العقل أن ينسى مؤذنو مصر موعد الفجر ... هذا فعل ديك اللعنة يحاكي كل الهيئات ، وينادي كل الأسماء، منقاره يصل حتى طرف عين السماء ... لاأحد يطول السمّاعة سواه وهو يعرف مكمنها ويعرف أنها دليلي للأذان ...

● في سواد الليل يستوى العشاء والفجر ... كما تستوى البنت حليمة وأمها . ذهب عنها العرسان حتى شاخت وأصبحت ناشفة مثلها في أواخر أيامها يتحشرج حسها باكياً داعياً كلما هم

بالخروج ... .

– رقيتك من عين الراجل فيها حربة بجلاجل

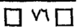
رقيتك من عين المرة فيها حربة مجأرة

وتفوح رائحة اللبن المحترق علي جمر نار البخور ... فتسارع بسكب الماء الدافيء يتوضأ ... وتتأكد من ثبات السلك المعدنى من تحت كسوة الراديو المحطوط علي حرف الطاقة مباشرة ليخرج منها مجتازاً سطوح الدور ورؤوس الأشجار كلها، صاعدا أعلى المئذنة وتتكيء على حافة الباب الموارب كي يبدأ هو في التسند علي الحوائط مستغفرا لاعنا كلما داس براز الصبية أو ولجت قدمه معجنة روث أمام باب ...

استعاذ من شياطين الأرض عندما كاد ينكفيء خلف الميضة وكأن أحدهم قد شاء أن يعوقه عن أذان اليوم .

– مايجهدني ويقطع أنفاسي هو حلزون المئذنة .

تهيج نفسه لاتستقر يومين أو ثلاثة كلما رأى سروالها البصلي منشوراً وسط خلقاته . ولايستطيع أن يفاتحها في مثل هذه المسائل .. كان لأمها طقسها الخاص قبل صلاة الجمعة عندما تُعّد له الماء الساخن، ملقية فيه بعض فصوص السّعْد وعيدان الريحان ونقطتين من زعفران حجازي معتق وهو مايستحى أن يفاتح فيه حليمة منذ داهمته آلام البروستاتا .



● الخلق في أبو سنيطة يصدقون كل شيء ، ولايتركون شيئا إلاّ إذا صدّقوه .

وعندما يتقلّب الرجال في فِرشهم وتنزعج تيوس الزّرابى مع آذان الفجر بعد أنْ تنتهى تواشيح الراديو وينساب الأذان – وعند حيّ على الفلاح . حى علي الفلاح بالضبط يحين أذاننا، ولما انزعجوا دون أن يسمعوا الأذان عادوا للنوم ثانية ...

● ضجر أبو غازى من الخلق والناس جميعا لما تناولوا سيرة حليمة بالباطل وفكّر غير ذى مرة في غواية الصبي الكفيف وتّركه يرحل عن البلد علّهم ينسون أو يسكتون .

● أوعز للديك الحارس بطلسمة غير معروفة ، فحضر علي غير موعده من تعانق الجميزتين أمام الجامع ، والديك الأحمر يتقافز من فرع لآخر يرفرف كطير مذبوح في دمه وتاج رأسه منتصب دائما .

إطمأن أولاً على الكنز الذي هو حارسه أسفل جدار الميضة مدخله وسردابه ممتد حتى أساسات المنبر على طرف صحن الجامع.

فتح الكفيف جفنيه الذائبين عن خرزتين بيضاوين .

● – ببركة لاإله إلا الله ياسيدنا ...

علي الحائط "لاإله إلا الله "، وبباطن الباب "محمد رسول الله" مطرزة على ديباج أخضر بعقيق أحمر ينكسب نوره يضيء

للداخلين ، ولكنه يهدى المؤمنين من عباده وليس للعبد حيلة سوى أن ينهل مما أعطاه الله ...

- لامعنى للخوف ياولدي ... دعنا نرحل .

في السرداب الطويل أرضية مبلطة بأحجار الزمرد وقوالب الياقوت ..أعتاب ذهب في ذهب . ومن تحت المنبر بالضبط تأتى أطياف الجاد، مرصوص بعناية ، تهل من ناحيتها نسمات من جنة تطفيء الوجه بلجة أسرة تنبيء عن آخرين نقشوا بهذه البقعة أوردة للحياة ... رتبوها بعناية وأباحوا لصاحب الفضل أن ينهل ...

هكذا شاء الله وأن يفتح على من اصطفى بأسرار ملكوت لاينالها أى حيّ .

- لاتحاولى ياحليمة . دائما تأتين بمالاأرضاه .

الليل الرمادي بدأ ينسحب ليفصح عن صبح آخر ... وحليمة صعدت السطوح تلّم سراويلها الملّونة الي أصابتها الأمطار، لم تر شيئا في أفقها . فهبطت تنشرها علي سلك طويل بوسط الدار وتشعل نارا عظيمة تدفيء جسدها المعرّي ، وتجفف بقايا الأمطار من النسيج المتسخ ببقايا الدم البُنىّ ... فاحت نسمات الجنة ، وانتشرت في الجو وعلت خروشات السماعة وتعبت أم الكفيف من السؤال عنه ، فتجمع الخلق بصحن الجامع ينتظرون

الفجر رغم أن الظهر قد فات موعده ، والعصر حان والشمس قددّت براز الصبية ، ولكن جلبة النسوان خافتة ، وزياط العيال ساكت ..

وفي العشاء بعد المغرب ، غفت الجميزة الأولى على أختها الثانية ونامتا على طرف المئذنة ... وتثاءب الرجال بِفَرش نسوانهم ، وابتسم العيال ... يحلمون ...

أغلقت حليمة بابها ولم تعد تفتحه أبداً ونزعت السلك المعدنى من مؤخرة الراديو ، ألقته خلف الدار على السطوح الأخري . ونامت ....

* أبو سنيطة قرية بقلب الدلتا ... مسقط رأس القاص.

لما استغنى دياب عن الماء باللبن وعن الشاى بالعسل وعن العدس والبصل بلحم الطاووس والغزال.. لم يفطن إليه الناس ولكن عندما استغنى عن امرأته بأخرى دارت بسيرته الأفواه وانتشر خبره لدى الخاصة والعامة وسرى أمره سريان من استغنى عن نفسه بنفس ثانية ..



سيرة الناس (٢)

هامش لازم لحكاية لازمة

قال الناس إياك وداره لاتقربها .. وإن كان لامحالة فأدر عنها وجهك ، يده مشئومة ، لاتصافحه وإن كان لابد فلاتنظر لعينيه ، وإذا دعاك لمجالسته لاتحادثه ... فإذا حادثته سمعته ، وإذا سمعته صرت منه ، وضاعت نفسك في نفسه وأصبحتما واحدا . سيرتك من سيرته . وقد تكون كأحد الذين راحوا من جريرة مصادقته .. فاسمع علّك ترشد ... وإن ترشد .

***

سطوحنا وسطوح داره يضمها ليل واحد وقمر واحد غاض في مداره البعيد، بعد أن ذاب من كثرة السهر والتجوال ، فخلّف وراءه بقعاً باهتة تتناثر هنا وهناك . ومن سطوحنا لسطوح داره أرقب .

سعف النخيل يتدلي ألسنة شوك في وسط الدار التى حاطتها أسراب النمل وحرامى الحلّة وفئران تتصارخ في سراديبها البعيدة فترهق أذن النائم في الطرف الآخر ... لايهم من رقدته

أو يتقلب في فرشته ... فقط يرقب بجانب عينه عِرّسة ممطوطة الجذع تحاول ولوج ثقب أسفل الباب الذى يستطيع منه رؤية أرجل المارة وظلالهم المسرعة في الخارج ...

لايذكر أحد علي وجه التحديد متى زرع هذه النخلة علي باب الدار ..يومها قالوا أن يده سوداء لاتزرع إلا النخل العاقر وكل ماهو ملعون.

قال : هى دارى التي ورثتها وهى نخلتى التي أزرع ...

قالوا : قد يصيبنا منها مما أصابك فلاتكن حجة علينا ..

قال سيدنا : هو حجة علي نفسه يوم لاشفاعة إلا لصاحب الشفاعة وستتركونه . هكذا حتى يقضى في أمره صاحب الأمر...

***

خريف وراء صيف وكل خريف النخلة تلقى بثمرة واحدة ناشفة معطبة ، لانواة لها ولاخير فيها ... يرميها في كوز الصفيح وينام ... حتى امتلأ عن آخره ولما امتلأ عن آخره ارتجّت الحيطان وفاضت بمكنوناتها ، وتشققت الأ رض تُخرج شياطينها ، وعوت الكلاب وهاجت الدواب فأيقن الجميع أنه يوم الحساب .. وظل هكذا الحال حتى دَنَتْ النخلة برأسها من الأرض ... وإذ فجأة انبثقت رطبها وطابت في ثوان، ملأت الدار وفاضت في كل الأركان ..

فقام من بحر الرطب ملآن العبّ والجيوب مشبوع البطن ، مرضىّ النفس والخاطر ...

***

انتقلت السيرة من لسان للسان ، من ناس لناس بعضهم قال : هو يوم القيامة رأينا الموتى صفاً ، وميّزنا فيهم أجدادنا ، زعقنا عليهم فحدثونا ولم ينكرنا إلا من لم يألفوا وجوهنا أو صَعُبت عليهم تعاقبات الزمن في سحناتنا ...

وقال بعضهم :

بل هى كنوز الملوك الذين عمّروا هذه النواحي وشيدوا فيها ماضجّت الأرض به فخرجت تسعى لصاحب النصيب .

وآخر ماقاله بعض حكماء الناس أن دياب لما صاح علي أبو غازى من طاقة الدار وقال " ياأبو غازى لن تشترى الدنيا بالدنيا ، ولن تمنحك نفسها بنفسها " اغتّم الشيخ وزادت عليه العلّة وبال علي نفسه دماً فدعا عليه وهو كظيم أن يبتليه بالحسرة .و فساد الحال في المال ، والولد ... وأن دياب لما سمع دعوة الشيخ عايره بابنته وعجزه وعلّته وأدار له عجيزته وأطلق ضراطاً عالياً، وتجشأ ورقد علي كوم السبخ تحت النخلة حاسراً جلبابه ، ممدداً ساقيه الرفيعتين الناشفتين ... ولما آتاه هاتف الدنيا

بعد أن رأي فيما رأي امرأتين علي نهر تملآن كل في إبريق وتسدان عليه أول وآخر الطريق وعليه أن يختار بين ماليس بينه أي تمييز أو تفريق ، انتفض من رقدته ونفض عن رأسه بعض هوام الليل ، واستعاذ من شياطين الأرض بشياطين السماء وفكّر في بعض الحيل للخروج من حال الحيرة والتنغيّص الذي كاد يذهب بعقله دون تريث ، فذهب من توه إلي أعز أصدقائه وأخلص ندمائه ... دعاه للسهر والسّمر في مولد سيدنا " مشعل" في الطرف الآخر من البلدة المجاورة ... إلا أن الصديق قد تكاسل بحجة التعب وكثرة العمل ولكنه عاد فاستجاب مع إلحاح دياب ، ولأنها ليلة من ليالى السنة التي لاتأتى إلا مرة واحدة فقد أطاع ... وسهر الصديقان حتى وشّ الفجر يشربان معسل الزغلول ويرقصان مع الذكر والمدح وأسكرهما جمال الحال الذي طال، فالليلة ليلة الخميس التي لوحدث وتوافقت مع مولد البركة فكل شيء مباح ...

ولما تعب الصديقان وبان احمرار عيونهما ، وثقلت رأساهما ... أشار الصديق علي دياب بالمبيت لدى أحد الأصحاب ، ولكن دياب رأي في السير والتجوال خير علاج لحالتيهما فسلكا سكة الريّاح .يتسابقان حينا ويبطئان آخر ... يُعدّدان أوصاف نسوان البلد واحدة واحدة ويرشحان أوفرهن شحماً وأحسنهن كَسْما

لتكون مليكة نساء البلد أجمعين .

وقال الناس :

أن صفاء الليلة لم يكن ليخطر ببال ... سكنت فيه كل الهوام ونامت الرياح في مساكنها حتى القمر ثبت علي حاله فى السماء والطريق ظللته الأشجار بأبدع الأشكال ولم يعد الصديقان يسمعان سوى همسهما ، أو دقات قلبيهما ، وأنهما لما وصلا عند الساقية الكبيرة وأرادا التبول – كل في ركن – خرجت لهما جنية أرضية أطلت برأسها من البئر المعْين الواصلة بزاروق حتى جسر الريّاح . وظلت تطفو على مهل حتى بانت واستقامت، وقد عرت ثدييها والشعر غطى كتفيها وعامَ على وجه الماء من خلفها وثبتت عينيها في عيون الصديقين يطقّ منهما الشرر وتتوهجان فيغطى وهجهما على ضىّ القمر ..

ولمّا تسمر الصديقان في مكانهما وتشنج جلدهما وتوقف بولهما في محبسه ... راحت تجزُّ بأسنانها على بعض الزلط فتطقطقه كحبات الحمص ، ولما شعرت بأن الروح تكاد تفرّ من أنف الصديقين اقتربت منهما دون أن تخرج من الماء ، دفعت دياب خطوتين تدّخره لقَدر محتوم ... ومسحت علي وجه الصديق ببعض الماء حتى استفاق فقبّلته علي خده وأخذت شفتيه بين شدقيها ولما انتبه وصرخ طلبته بالاسم ليتزوجها .

لكن الصديق بصق بين عينيها عند التقاء حاجبيها ...فاغتاظت منه وهاج فؤادها وزعقت زعقة عظيمة ارتجت لها أعواد الذرة في الغيطان وذعرت نجوم السماء وفرت هاربة .. فأظلمت الدنيا وتاهت معالم الأشياء ... عندها أمسكته بمخالبها المسنونة من عند الرقبة وأخرجت قصبته في قبضتها فاندفع نافور الدم دوّارا، غطىّ سطح الماء ثم دستها في طين الجسر حتى لايحدث شخيراً فيسمعه بعض أولى الألباب فيبادرون بالدعوة عليها .

وقال الناس :

عندها ارتعب ذياب وتوقف قلبه فمات في جلده ولم يعرف كيف جاءها ذليلاً ، حين أشارت له بالإتيان ولما اقتربت منه أيقن أنه ذاهب لامحالة فسلم أمره لله وليديها اللتين راحتا تعبثان بكل تفاصيل جسده الناشف . وفجأة وجد نفسه معها تحت الماء يتنفس بسهولة ويسر ويستطيع أن يرى من أسفل جثة صديقه طافية وسط الحشائش والطحالب ، لايربطها بمكانها سوى قصبته المغروسة في الطين ... ولماأحس دياب ببعض الحسرة وكاد يتذكر أيامه ولياليه مع محاسن صفات صديقه ... سحبته الجنية إلي شق عميق وتزوجته بإرادته فنكحها مرة ومرة فأعجبها منه قوة العزيمة وحسن الكلام ودلال

الخصام ... فندمت الجنّية أشدَّ الندم على قتل الصديق لمّا عوضها الله بحُسن معاشرة دياب فصممت أن تلد أربعة أبناء تسميهم جميعاً علي مسمى القتيل وتهبهم لعمل الخير وحراسة الجسور وانتشال الغريق ...

وقال الناس :

أن دياب كلما جامعها أنْسَتْه الدنيا ومافيها ولهَّته عن نساء الأرض جميعاً على اختلاف أشكالهن وألوانهن ..من يومها وهو لايستطيع فراقها قد يأتيها وقد تأتيه دون أن تشعر زوجته أو أي أحد بالدار ... يقضى لها حاجتها وتقضى له حاجاته وتوفر كل طلباته، حتى جاء اليوم الذى لاحظت فيه افتتانه بنخلاته النابتة والتى ملأن ساحة الدار وطوّقت ماحولها من باحات . وراحت سعفاتها الهزهازة تسلبه عقله كلما اخضرت رآها حريراً ، وكلما اصفرت رآها ذهباً يحادثها وتحادثه ...

قالت له الجنية : هذا مافعلت .. أنا أعطيتك .. لذا آخذك .

قال : أعطتنى الدنيا وأنا آخذ ... كفاك أن أخذت صديقى ،

قال الناس :

عندها زفرت الجنية زفرة عظيمة فانشقت الحوائط وانخسف القمر ومادت الأرض تتشقق حتى خرج مافيها من جن وإنس خبيث يهيم في كل صوب .. واختفت الجنية ... ذهبت كما أتت

... ذهبت وذهب معها رجال كثيرون حتى أبو غازى ماعادت له سيرة بيننا .

هامش اخير

هذا كل مانعلم عنهم ... أما زوجة دياب فسيرتها عند ناس آخرين ،،، إياك أن تحاول معهم فهم ليسوا مثلنا ، وليس عندنا أكثر مماقلنا ... لانعلم شيئاً عنهم كما لانعلم شيئا عنك وإياك أن تصير من دياب ... تصبح سيرتك من سيرته .

***

سطوحنا وسطوح داره يضمهما نَفَسٌ واحد راح ينتظم في سكون .

المحتويات

صدر من هذه السلسلة

١ ـ شجرة البدايات ....أشرف أبو جليل

٢ – خيمة فى الليل ....محمود الحلوانى

٣ – حديث خاص عن الجدة .... أحمد أبو خنيجر

٤ – الحالة ٩٤ ....وليد يوسف

٥ – قصائد للنار .... عبد الناصر عيسوى

٦ – عصافير الفراغ .... خالد خريب

٧ – نظرية الجبنة القريش .... محمود عبده

٨ – الحلم الأخير ....يس الضوى

٩ – ورد الصمت ....محمد أبو المجد

١٠– الجبريلية ....أشرف الخمايسى

١١ – عيل بيصطاد الحواديت...........................مجدى الجابرى

١٢ – الذى فوق .... منال السيد

١٣ – وحده يستمع الى كونشرتو الكيمياء .... شريف الشافعى

١٤ – كلما رأيت بنتا حلوة أقول ياسعاد .... سعيد نوح

١٥ – الطرف الأزرق من الطيف .... ياسر ابراهيم

١٦ – للبيوت شهوة تزلزلنى .... محمد العسيرى

١٧ – ضلوع ناقصة .... عصام أبو زيد

١٨ – أوار البنفسج .... محمد شكرى

رقم الإيداع: ٨٦٤٤/ ٩٦

الأمل للطباعة والنشر ت: 3904096



إبداعات

محمد شكري عبود

أوار البنفسج

على الفور، أنت في حضرة كاتب يمتلك أدابير هذه اللغة الغاوية: بدمها الفائر، وبقدة أنفاسها اللاهثة، بطلاوة أعضائها الألقة، بشجوها: آسياً أول الأمر، جامحاً فيما بعد، بإيقاعها الحار وزخمها المعجمي الفريد!!

وهو، كمن يأمن إغواءها المقيم، يهدهدها غير نزق، فتفض ببعض سرها، تلين على يديه صلصالاً لا ينطق عن حكمة خزاف قديم، أو شباكاً قلما خانت صيادها العارف!!

إنه الفن وحده، في «أواره»، إذن، ما يستطيع أن يسمي الأشياء بأسمائها الأولى، دون محاكاة، أو يخلع عنها باب حكمتها القديمة، دون مجاوزة، .. وحده يستطيع أن يصف «العشق» في «مصفوفة» غير رياضية، يجعل من «جيفارا» عنواناً لسردية تحكي - فيما تحكي - وجع البنات، أو يعيد - عليك - كرة الزمن «ألف ليلة» دون أن يزج بك إلى أزقة التاريخ!!



خمسون قرشا

الأمل للطباعة والنشر